أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

الربع الرابع عشر

حكم المحيض

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223))}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

علاقتها بما قبلها

اتى السؤال عن المحيض معطوفًا بالواو لارتباطه بما قبله، فلما كانت الآيات السابقة تتكلم عن حكم النكاح أتى البيان هنا في حكم اتيان النساء في المحيض

يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، والمقصود بالمحيض هو دم طبيعة يسيل من أرحام النساء في أوقات مخصوصة، فقال تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ} أي هل تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود، أم هي على الطهارة كما كانت قبل الحيض؟.

فأتى الجواب وهو أن الحيض أذى، وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عنه، ولهذا قال: { قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ } أي: الاتيان في المحيض فيه أذى وضرر للمرأة وللرجل، وقد ثبت طبيًا أنه يصيب المرأة بالإلتهاب في الرحم، ويصيب الرجل بالصديد والتهاب مجرى البول، وقد يؤدي إلى العقم؛ فأمرت الآيه الرجال أن يعتزلن النساء في مكان الحيض، وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة

الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز.
ثم بين الله سبحانه حد هذا الاعتزال وعدم القربان للحُيَّض فقال { وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ } أي: لاتقربوهن حتى ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، فقد زال الشرط الأول وبقي الشرط الثاني وهو الإغتسال، فلهذا قال: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} أي: اغتسلن {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.
فدل ذلك على أن المرأة يحل جماعُها بعد الحيض بشرطين:
الشرط الأول: أن ينقطع الدم.
الشرط الثاني: أن تغتسل بعد انقطاعه.
ولما كان هذا المنع لطفًا من الله تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} أي: الذين يتوبون من ذنوبهم على الدوام {وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} أي: ويحب المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.

ولما بين الله اباحة اتيان المرأة بعد التطهر من الحيض، بيَّن الحكمة من ذلك الإتيان وهو طلب الولد فقال تعالى{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} اي نساءكم هيأهن الله ليكن منبت الولد لكم، تُلقى النُطفة في الرحم فيخرج منها الولد بمشيئة الله -تبارك وتعالى- وإرادته؛ كما هيأ الأرض للنبات فأتوهن كيف شئتم مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل، لكونه موضع الولد.
{وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ} أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ويدخل فيها أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم.
{وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي: بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل ما أمر واجتناب ما نهى في جميع أحوالكم.
ثم بين الله ما يعين العباد على ملازمة التقوى وهو يقينهم بلقاء الله فقال { وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ} للحساب والجزاء يوم القيامة والجزاء على أعمالكم الصالحة وغيرها.
ثم قال: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} لم يذكر المبشر به ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا بكل خير واندفاع كل ضير، والبشرى في الآخرة بالثواب والجنة.

سبب نزول الاية كان اليهود يتحرجون ويتنزهون من معاشرة المرأة إلا في حال أو وضع أو صفة معينة، فلما جاء المهاجرون إلى المدينة وكانت

قريش تصنع ما لا عهد للأنصار الذين جاوروا اليهود به، فتزوجوا من الأنصار فلما أراد بعضهم ذلك تمنعن حتى يسألن رسول الله ﷺ، فجاء هذا الجواب: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [سورة البقرة:223

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ	**من عرف الله.. سيسأل عما يرضيه وعما يغضبه** ينبغي على الإنسان أن يسأل عما يحتاج إليه من أمور دينه، فالسؤال مفتاح العلم، ومن استشار الرجال استعَار عقولهم، كما أن المؤمن الصادق يَسأل ليُثْقِلُ مرجعه الديني بالسؤال، لا يقرّ له قرارٌ إلا إذا عرف الحكمَ الشرعي في كل شيء، ولا يمنعه الحياء عن السؤال عما يعنيه، فهنا سؤال عن الحيض وهو شيء يُستحيى منه، بل هو سؤال عن الجماع في الحيض، والمقاربة للنساء في ذلك فلم يمنع الحياء من مثل هذا السؤال كما قالت عائشة -رضي الله عنها- تُثني على نساء الأنصار: "لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين". فلابد أن نسأل اذا جهلنا مسألة مهما كانت، فشفاء العي السؤال.
	العبادة توقيفية كل الآيات التي فيها (يسألونك) فهي تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم توقف حتى أنزل الله جواب السؤال، كما أن الصحابة عندما جهلوا سألوا النبي. لذا الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه، في كل أمر؛ لا إلى الإستحسان، والأذواق، والعقول، فكثير من الناس إذا أمرته بإعفاء اللحية وتخبره بأمر النبي يقول: هذا كان عند العرب، وهذا من عاداتهم، أو تأمر امرأة بالحجاب تقول لا أقتنع بفرضيته رغم

	وجود الأمر في كتاب الله وسنة نبيه، وترجع إلى عقلها واستحسانها وتقول أن الله زين المرأة بشعر في رأسها فلمَ يأمرها بتغطيته؟!، نعوذ بالله من الخذلان.
قَلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ	**بلاغة القرآن دلالة الإيماء والتنبيه** فهنا قدم عِلة الحكم على الحكم، وجاء الحكم مقترن بالفاء الداله على التعليل وترتيب ما بعدها على ما قبلها. فالحكم هو {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} أنه لا يجوز أن يُجامع وهي في حال الحيض، لكن قال: {قُلْ هُوَ أَذًى} فقدم العلة من أجل أن تتهيأ النفوس لقبول الحكم، إذا كان أذى فهذا يورثها نفورًا منه لما جُبل وفُطر عليه الإنسان من مُباعدة الأذى والنفور منه.
	من اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الأحكام الشرعية معللة من أسماء الله الحكيم، ومن أوصافه الحكمة، أي يضع الشيء في موضعه، فأتى هنا ببيان الحكمة من الإعتزال، وهذا كثير في القرآن يأتي التعليل صريحًا: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ} [سورة المائدة:32]، وتارة يكون بـ"كي": {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [سورة الحشر:7].
	قال: فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ؛ ولم يقل (فاعتزلوهن في المحيض)؛ لأن ذلك هو موضع الاهتمام والرغبة فالنفوس تتوق إلى النساء وكذلك أظهر المحيض مع أنه ذكره قبل ذلك لأنه مناط الحكم، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، فمتى وجد الحيض وجب الاعتزال، ومتى ارتفع الحيض حلت المرأة بشرطه وهو أن تغتسل

	{قُلْ هُوَ أَذًى}، مطلق يدخل فيه كل ما يمكن أن يصدق عليه سواء النجاسة، أو الضرر والمرض، والأطباء يذكرون أنواع الأضرار للمراة والرجل إذا جامع المرأة في حال الحيض، وفيها رحمة الله بعباده فالله يأمر بكل خير، ومصلحة، وينهى عن كل شر ومفسدة، وهذا في سائر الأوامر والنواهي، وإذا استشعر الإنسان ذلك لفعل العبادة بالحب والإنقياد والإستسلام.
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ	الأدب في العبارات في كتاب الله لم يقل: فجامعوهن، ولكن عبر بالإتيان، وهذا كثير في القرآن حينما يذكر الله -تبارك وتعالى- مثل هذه الأمور كما ذُكر في سورة النور، وأيضًا في سورة الأعراف: فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ [سورة الأعراف:189]، يعني: جامعها قصة يوسف قصة كاملة طويلة في سياق طويل ذكر فيها عشق امرأة العزيز ونحو ذلك لكن لا تجد عبارة تُحرك الغرائز، الناس إذا أرادوا أن يوصفوا شيئًا من ذلك لربما يتحدث فيه فقيه عن هذه الأحكام لربما بعض الناس تتحرك نفسه اما في القرآن لا تجد شيئًا يُحرك الغرائز والنفوس أبدًا، تُقرأ هذه في الصلوات ويخشع الناس عند سماعها، ولا يُحرك كوامن النفوس ودواعي الشهوة فيها لذا في مناظرة احمد ديدات قال للقسيس انت في الانجيل اقرا في صفحة كذا وكذا ما استطاع ان يقرا لما في ذلك مما يحرك الغرائز وتستحى منه النفوس فنستفيد انه كلما استطاع المُتحدث من مفسر يفسر اية أو فقيه يبين حكم فقهي أو واعظ يعظ الناس أو غير ذلك ان يتحدث بحديث يصل معه المعنى المطلوب من غير تحريك النفوس الغافلة، وايقاظ الغرائز الكامنة فهذا هو الموافق لطريقة القرآن
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	إن هذه تُفيد التوكيد والتعليل، إشارة إلى معنى وهو أن المُلابسات في الحيض إثم تحتاج إلى توبة، وهي دنس يتنزه منه، وأن أهل الإيمان يتطهرون، وكذلك

	أيضًا الإتيان في غير موضع الولد هو معصية كبيرة من الكبائر، ودنس وقذر، فإذا كان إتيان المرأة في موضع القذر والأذى العارض وهو الحيض في وقت مخصوص كان ذلك من المُحرم، فكيف بالموضع المُلازم للنجاسة، والنجاسة فيه مُتمكنة لا تنفك عنه بحال من الأحوال، وليست بعارضة فيه، فهذا فرق كبير، ولذلك كان إتيان المرأة في غير موضع الولد أعظم وأشد من إتيانها في حال الحيض، والفرق بين النجاستين ظاهر، هذا موضع مُلازم للنجاسة وهذا موضع النجاسة فيه عارضة وكل ذلك مُحرم.
	لم يقل {إنه يحب التوابين ويُحب المتطهرين}، فأعاد ذكر اسم الجلالة لتربية المهابة، ومراقبة الله؛ لأن الناس لا يطلعون عليه ويكون في غمرة الشهوة قد ينسى نفسه، وينسى ما قد علم فيحتاج إلى إيمان رادع يمنعه من الإتيان في غير موضع الولد، أو في حال الحيض.
	ما أكرم الله وما أحلمه.. لا تغلبنّك الخطايا.. فربك كريم .. ودود رحيم.. خفف ألم ندمك بتذكر محبة ربك. في ذكر التوبة قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}، فدل على أن التوبة من أسباب محبة الله، فقد علم الله أن الندم يوجع القلب ويحزنه ويلاحقه بالحسرة والأسى فعوض الله النادمين بالحب. فهنا هذا الإنسان الذي الذي يقع منه الذنب ويتكرر ثم يتوب، ثم يقع منه الذنب ثم يتوب، إذا تاب التوبة الصحيحة بشرطها فالله يُحب التوابين الذين يُكثرون من التوبة، لكن الشيطان يأتيه ويقول له أنت مُتلاعب بالتوبة، أنت مستخف بمقام الله، ويحول بينه وبين التوبة، وللأسف يُصدقه بعض الناس ويترك التوبة من أجل أنه بزعمه يُعظم ربه -تبارك وتعالى. فالواجب على العبد عندما يعلم ذلك أن يتوب ثم لايرجع إلى الذنب مرة أخرى ويثبت على توبته لأنه لايدري بمَ يختم له.

	لكن الشيطان لا يُريد هذا إطلاقًا، الشيطان يريد أن يوصل له رسالة واضحة يقول: المقصود أن لا تتوب، وليس أن لا ترجع إلى الذنب، لذا مهما حاول الشيطان أن يهوّل معصيتك ! أو أن يصدك ويقنّطك ! فتذكر .. أن ربك يحب توبتك ويفرح بأوبتك..
	وكذلك نتعلم قد نترك الانتقام من الذين يسيئون إلينا وقد نتخطى جراحنا ونجاملهم لكن أن نحبهم بعد إساءتهم كل مرة فهذه الصفة لله وحده
	ديننا دين الطهارة الآية فيها الجمع بين نوعي الطهارة الحسية والمعنوية، فذكرت التوبة هي طهارة معنوية فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، التوبة تجلو الذنب وتنُقيه وتُطهره، وذكرت الطهارة من الحيض وهي طهارة حسية وقد ذكر النبي الرجلين يُعذبان قال: إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير، وذكر أن أحدهما كان لا يستتر من بوله أو لا يستنزه من بوله أو لا يستبرأ من بوله، فهذا الذي لا يتنزه من البول أخبر النبي ﷺ أن عامة عذاب القبر منه. فعلى المؤمن الراغب في محبة الله أن يتطهر من المعاصي والشرك والآثام، وكذلك من الحدث والنجاسات، وكما قال بعض السلف: ليس الشان أن تحب، ولكن الشأن أن تُحَب. وهنا لفته: بعض الناس فتنوا بمحبة الكفار لاسيما الغرب والتشبه بهم، وهم لا يتطهرون من النجاسات بأنواعها، من الحيض، ولا من النفاس، ولا من الجنابة، ولا يستنجون، ولا يغتسلون إلا غُسل تبرد أو تنظف والواحد لربما يكتفي أنه يمسح يديه بورقة أو نحو ذلك فالنجاسات مشتملة عليهم من كل ناحية وهم متلبسون بها من كل وجه، فنسأل الله السلامة، وأن نتبع الشرع، ولانفتن بالمظاهر.
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى	فيها تشبيه النساء بالحرث، وذلك لما يُلقى من النُطف التي يُخلق منها الأولاد، كذلك الحرث يُلقى فيه البذر

شِئْتُمْ	فتخرج الأشجار والنباتات، فصاحب الحرث يسعى إلى تثميره وتكثيره واستنبات النباتات والأشجار فيه، فإذا كان هؤلاء النساء مُزدرع للرجال فينبغي أن يحرصوا على هذا المعنى بتكثير النسل، والنبي ﷺ يقول: {تزوجوا الودود الولود فإني مُكاثر بكم الأمم يوم القيامة}. والله يقول: {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ}، يعني: خوف الفقر إذا كثُر النسل، {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ }[سورة الإسراء:31]، فرزقهم على الله -تبارك وتعالى، أما إذا كان قتل هؤلاء الأولاد بسبب فقر واقع على الأبوين فقال الله: {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ}، يعني: من فقر واقع متحقق، قال: {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [سورة الأنعام:151]، فقدم رزق الآباء، فالرزق عند الله -تبارك وتعالى- والإنسان لا يرزق نفسه فضلاً على أن يرزق غيره من هؤلاء الأولاد، فكثرة النسل وكثرة الأولاد لا تكون سببًا للفقر؛ لأن هؤلاء قد تكفل الله برزقهم: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}، فأتى بأقوى صيغة من صيغ الحصر، فيدخل في هذا الإنسان وغير الإنسان، كل من يدب على الأرض، أيضًا الاجهاض واسقاط الحمل يسميه بعض السلف بالوأد الخفي، وكذلك موانع الحمل من أجل أن لا يكثر الأولاد كل هذا من بقايا الجاهلية، الذين كانوا يقتلون الأولاد خشية الفقر، فكانوا يسمون ذلك بالمؤودة الصُغرى، والوأد الخفي، فالرزق عند الله -تبارك وتعالى- ينزل على الخلق سواء كانوا كثيرين أو قليلين ويد الله وخزائنه ملأى لا تغيضها نفقة.
	توسعة الشارع على عباده، فلم يُضيق عليهم في وجوه الاستمتاع إلا فيما كان ضررًا وأذى سواء كان ذلك في حال الحيض أو كان ذلك في غير موضع الولد، والواجب على العبد أن يشكر الله على عظيم نعمه وتوسعته على العباد.
	لم يقل: فأتوهن وإنما قال: فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ

	[سورة البقرة:223]، تأكيدًا لهذا المعنى أنهن حرث، كما أن فيه الدعوة الى صيانه الزوجة، والمحافظة عليها لأن الحرث يُحافظ عليه الإنسان، ويصونه من كل آفة.
وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ	فهنا نوع في الخطاب خاطب المؤمنين {وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ}، ثم حول الخطاب إلى النبي ﷺ لتبشير المؤمنين { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} لأن البشارة تكون عن طريقه -عليه الصلاة والسلام.
	جمع بين أمرين المتع الدنيوية والاخرة وما يقرب الى الله: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}، هذا موضع الاستمتاع وهذا من أعظم المُتع في هذه الدنيا، لكن ذلك لا يُنسي العمل والطاعة التي يُتقرب بها إلى الله، فيُقدم الإنسان لنفسه ما ينفعه ويرفعه ولا تشغله هذه الشهوات ولو كانت مباحة عن طاعة الله كما قال في آية الصيام: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ }[سورة البقرة:187]، ما الذي كتبه الله لنا؟ من قيام ليالي رمضان، والتماس ليلة القدر، فلا يشغلكم ذلك عن العبادة، وكذلك نية الوقاع بأن يرزقكم الله الولد لنصر دينه واعلاءه.
وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ	هذا فيه تحذير مُبطن وتهديد مُغلف لمن فرط وضيع، فالإيمان بهذا اللقاء القريب يبدِّد وهج الشهوات المحرمة داخل النفوس، ويصرف عن الانغماس فيها، بل يقول الإنسان لنفسه كيف سألقى الله بهذه الذنوب والمعاصي، ويستحيي منه فتتبدد محبة الشهوة في النفس.
	من أراد أن يذكر أمرًا له أهمية أن يُبرزه كما قال الله {وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ }[سورة البقرة:223]، فهذا يحتاج إلى تحريك النفوس ليتهيأ العبد ويستعد للقاء الله، وهذا يبعث على المُحاسبة والمُراقبة، فإذا علم

	الإنسان أنه سيُلاقي ربه -تبارك وتعالى- فإنه يجد ويجتهد في التقديم لنفسه ما يجد ثوابه عند الله -تبارك وتعالى.
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ	قال الشيخ السعدي: وفيها محبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي. فالبُشرى تكون لأهل الإيمان والعمل الصالح، فمن كان على خير وعلى عمل صالح يُقال له: أبشر، كذلك تبشير الناس بالأمور السارة بالأمور الطيبة بالأمور التي تبعث الطمأنينة في نفوسهم، والناس يحتاجون إلى تبشير وتطمين وذكر ما يسر. أما ذكر ما يسوء الناس دائمًا فهذا غير مستحسن، وقد قال النبي: "بشروا ولاتنفروا". ويدخل في هذا نشر الجرائم، والمصائب، والشكوى دائمًا وأبدًا إما ظنًا منهم أنها تُذهب العين، أو لفضح بعض من آذاهم، وهذا كله من التنفير والترويع، وإساءه الظن بالله.
	لم يذكر المُبشر به، {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}، للعموم، والمعنى بشرهم بالنصر في الدنيا والرفعة والتمكين والعلو، والحياة الطيبة، وحُسن العاقبة، وبشرهم بالثواب الجزيل في الآخرة والجنة، ورضا الله - تبارك وتعالى، وما يجدونه مذخورًا لهم من أنواع النعيم.
	يدل على أن غير المؤمنين لا بُشرى لهم، فقد علق البشارة على الإيمان.

حكم الأيمان

{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224))}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

علاقة هذه الآية بما قبلها

بعد أن ذكرت الآيات حكم الإمتناع عن الإتيان في الحيض، وحل الإستمتاع بينت حكم الحلف بعدم الإتيان وهو الإيلاء، ومهدت لذلك بالحديث عن الأيمان.

أي: لا تجعلوا الحلف بالله -تبارك وتعالى- مانعًا لكم من البر وصلة الرحم والتقوى والإصلاح بين الناس فإذا دُعي الإنسان إلى خير من صلة رحم أو زيارة مريض وقد حلف أن لا يفعله، فعليه أن يُكفر عن يمينه، ويفعل تلك الأعمال الخيرة، والنبي ﷺ قال: لا أحلف على يمين ثم أرى غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير.
ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} أي: لأقوال الحالفين {عَلِيمٌ} بمقاصدهم ونياتهم هل هي خير أم شر.

هداية .... وتدبر

وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ	**تعظيم اسم الله فلايُبتذل بكثرة الحلف** ولهذا في كتاب التوحيد للإمام المُجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله: باب ما جاء في كثرة الحلف، وعلاقة هذا الباب بكتاب التوحيد: أن كثرة الحلف تُنبئ عن قلة تعظيم الله، ولهذا جاء عن إبراهيم النخعي -رحمه الله- أنهم كانوا يؤدبون الصبيان على الحلف. وكما ان من أكثر من الحلف؛ فإنه يقع منه خلاف ذلك، بأن يكون حانثًا في بعض هذه الأيمان، قال تعالى: { وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} فيكون بسبب ذلك لم يُعظم اسم الله -تبارك وتعالى- ويحفظ أيمانه، ولهذا فسروه بقوله: وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ [سورة المائدة: 89]، على هذا المعنى وأخبر عن المنافقين أنهم هم الذين كانوا يحلفون دائمًا {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} [سورة المنافقون:1]، الشهادة هنا بمعنى الحلف كذلك أيضًا: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ [سورة التوبة:62]، ونحو ذلك مما أخبر الله -تبارك وتعالى- عنهم، كما قال: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [سورة المنافقون:2]، فجعلوها كالتُرس؛ فإذا وجهت إليهم تُهمة في فعل فعلوه أو مقالة قالوها حلفوا أنهم ما فعلوا، فدفعوا ذلك عنهم.
	ليس للإنسان أن يحلف على ترك البر والمعروف والخير والصلة، والإحسان، والإصلاح بين الناس؛ فإذا وقع منه شيء من ذلك فليس له أن يدع ذلك الفعل بحجة أنه حلف بل عليه أن يُكفر عن يمينه، وأن يفعل هذه الأمور، فلا يمتنع من طاعة الله بسبب اليمين.
	كذلك أيضًا الحث على البر والتقوى والإصلاح بين الناس؛ لأنه إذا كان الله -تعالى- قد نهانا أن نجعل اليمين مانعة من فعل ذلك فمن باب أولى ألا يُترك ذلك من غير يمين مع أن اليمين يُطلب حفظها.
أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ	أَنْ تَبَرُّوا، البر اسم جامع لكل من يُحبه الله ويرضاه، وكذلك التقوى، وَتَتَّقُوا، لكنه ذكر فردًا من أفراد البر وأعمال التقوى وهي الإصلاح بين الناس، ومعلوم أن

	ذكر الخاص بعد العام يدل على مزية فيه وأهمية، فدل على أن الإصلاح بين الناس من أجل الأعمال، ومن أفضلها وقد صح عن رسول الله ﷺ في غير ما حديث أنه من أشرف وأجل وأفضل الأعمال الصالحة عن أَبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدقَةٌ} متفق عليه.
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	سميع صيغة مُبالغة، كثير السمع، عظيم السمع، عليم صيغة مُبالغة، أي: أنه عظيم العلم واسع العلم، فالله عليم لجميع الأصوات، يسمع قول القائلين، وأيمان الحالفين، وكذلك أيضًا هو عليم بالمقاصد والنيات، وهو عليم بهؤلاء الذين يحلفون أن لا يفعلوا البر والمعروف والتقوى والإصلاح بين الناس، كل ذلك يعلمه، وهذا فيه تحذير مُبطن، وتهديد ووعيد مُغلف، بمعنى أنه ينبغي على الإنسان أن يُراعي في ذلك كله سمع الله وعلمه، فالله محيط به، سامع لما يقول، عليم بدواخله وظواهره ومقاصده وأحواله كلها، فعلى العبد أن يتقي الله في كل أحواله، ولا يدع المعروف بحجة أنه قد حلف، فالمعروف لا يعتذر منه أحد

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

لما ذكر لهم التوجيه الأول، وهو أن الأيمان لا تكون حائلة من فعل المعروف، بين لهم ما الذي يُكفر عنه من الأيمان، وما الذي لا يُكفر عنه،

ما الذي لا يؤاخذ فيه العبد، وما الذي يؤاخذ فيه، فقال: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ } أي: لا يُعاقبكم، ولا يُحاسبكم بسبب الأيمان التي حلفتموها بغير قصد، ولا كسب قلب، ولكنها جرت على لسانه كقول الرجل في عرض كلامه: "لا والله "و "بلى والله "وكحلفه على أمر ماض، يظن صدق نفسه،
{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} وإنما المؤاخذة على ما قصده القلب.
وفي هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.
{والله غفور} لمن تاب إليه، {حليم} بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر، وصفح مع قدرته عليه، وكونه بين يديه.

هداية .... وتدبر

لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ	عدم مؤاخذة العبد على ما جرى على لسانه من غير قصد في قلبه، فهذا عام في باب الأيمان، وفي غيرها، وقد يقع ذلك على سبيل الخطأ، وهذا معفو عنه. مثاله: لو جرى على لسانه من قبيل الخطأ السب، أو الشتم وهو لا يقصده، أراد أن يقول لإنسان مثلاً أعطاك الله أغناك الله، فقال: لعنك الله، لا يؤاخذ، بعض الناس يُخطأ يأتي في عزى ويُسلم على هذا المُصاب ويقول فُرصة سعيدة، فهذا لا يؤاخذ، الله لما ذكر البر للوالدين في سورة الإسراء قال: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [سورة الإسراء:23، 24]، قال بعدها:{ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا} [سورة الإسراء:25]، حمله جمع من

	المفسرين هذا الموضع من سورة الإسراء على أنه قد يبدر منه البادرة يُريد البر، فتكون عقوقًا، وهو لا يقصد، قد يقول كلامًا يمزح مع أبيه أو مع أمه، أو يظنه من الكلام الحسن ويتبين أنه من الكلام غير الجيد، كلمة سمعها ظن أنها من الكلام الجيد الذي يُدخل الأُنس على أبيه أو على أُمه، والواقع أنها لا تُقال إلا للبعيد فيقولها، لا يؤاخذ؛ لأنه لم يقصد الإساءة. وكذلك ما يُحدث المرء به نفسه، الناس يسألون كثيرًا عن حديث النفس، وعن ما يقع من الخواطر السيئة في ذات الله، أو كتابه أو أنبيائه، أو نحو ذلك، هذا لا يؤاخذ عليه الإنسان، والنبي ﷺ لما سُئل عن هذا قال: أوقد وجدتموه قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان، بمعنى: أن الشيطان يأس منه فما وجد إلا هذه الخواطر التي لا تضره فالشيطان يُقلق الإنسان المؤمن ولكنه ماذا عسى أن يفعل بالبيت الخرِب، الكافر ما يُلقي في قلبه هذه القلق والوساوس والخواطر السيئة
وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ	هذا يدل على أن القلوب لها كسبًا كما أن للجوارح كسبًا، فيؤاخذ الإنسان بما قصد وعزم عليه القلب والعزم قال فيه النبي ﷺ: القاتل والمقتول في النار، قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه، فصار مؤاخذًا بالعزم